دور زاويتي سيدي بومعروف وبوحمامة
في الحفاظ على الهوية الوطنية

د. مبارك تريكي
جامعة د. يحيى فارس المدية

البحث في التراث شيء ممتع، ومبعث على الفخر و الاعتزاز، ولعل ما زادنا فخرا واعتزازا ونحن نقدم هذه الورقة للجنة العلمية للملتقى كوننا ننتمي إلى المنطقة جغرافيا هذا أولا، وكوننا انتسبنا إلى إحدى الزاويتين اللتين نتحدث عنهما تعليميا في طفولتنا هذا ثانيا، ومن ثم تحاول هذه الورقة الكشف عن جوانب من تراثنا المحلي، محصورا في مؤسسة كانت ملاذ الجزائرين وقت الشدة إنها مؤسسة الزاوية، وهي المؤسسة التي نعتقد أنها كانت الحصن المنيع لحفظ شخصيتنا أثناء فترة الطمس والتشويه، سواء كان هذا أثناء فترة الاحتلال الاستيطاني أم أثناء فترة مواجهة الغزو الفكري والثقافي اللذين شهدتهما البلاد حتى بعد الاستقلال، فالدراسة إذا حفرية في التراث المحلي لمنطقة تابلاط، وهي تسعى لتحقيق ذلك كان لابد لها أن تتوقف عند المحطات التالية.

- التعريف بالزاوية
- وظيفة الزاوية باعتبارها مؤسسة دينية اجتماعية
- دور زاويتي سيدي بومعروف وبوحمامة في الحفاظ على الشخصية الوطنية

أ - الدور التعليمي التربوي

ب - الدور الروحي

ج - الدور الاجتماعي

د - الدور الثقافي

نص المداخلة

التعريف بالزاوية:لغة واصطلاحا

أ - تعريف الزاوية لغة:

من يرم المعاجم اللغوية مستقصيا إياها عن المادة اللغوية للفظ (الزي) الذي
الزاوية، يجدها قد وردت مرادا بها عدة معان، نحاول أن نتوقف عند بعض
وردت المادة مرادا بها المعاني التالية:

1 - بمعنى الجمع والقبض:قال ابن منظور في اللسان : (زويت الشيء
وقبضته)[1] وهو المعنى الذي نص عليه الرازي أيضا في مختاره ومثل له بقوله
الشيء يزويه زيا :جمعه وقبضه وفي الحديث (زويت لي الأرض فأريت
ومغاربها)[2] فدلالة الحديث النبوي الشريف على الجمع والقبض واضحة، إذ
الأرض -عليه الصلاة والسلام-وطويت وقبضت، ومما تمثلوا به لهذا المعنى
انزويت عنا أي انقبضت فلا تباسطنا)[3] وهو معنى مجازي كما يذكر صاحب

بمعنى الحيازة: وورد اللفظ مرادا به الحيازة، ومثلوا له بقولهم (زوى المال حتازه)[4] وهذا المعنى نص عليه الزمخشري في أساسه أيضا، واعتبره من المجاز ن المجاز زوى المال وغيره:احتازه، وزوى الرجل الميراث عن ورثته :عدل به عنهم)[5]

بمعنى التهيئة:كما ورد اللفظ مرادا به التهيئة، يقولون في هذا الشأن: (زوى هيأه في نفسه)[6]

بمعنى التضام:وورد الفظ بمعنى التضام ومثلوا له بقولهم (زوى القوم إلى بعض تضاموا)[7]

بمعنى المنع والصرف والرد: فيقولون في هذا الشأن (زوى عنه الشر: طواه ومنعه إياه)[8] وهي المعاني التي مثل لها ابن منظور بقوله (زويتها: رددتها، أي ردوهم، وزوى الله عني الشر، أي صرفه)[9]

معنى العدول عن الشيء: قال في اللسان: (زوى، عدل، زوى عنه كذا، أي صرفه عنه)[10] وهو المعنى الذي وجدناه منصوصا عليه عند صاحب الأساس د تمثلنا به سابقا،ولعل من هذا المعنى ما ذكره الزمخشري في الأساس،وهو ن المجاز زوى المال وغيره:احتازه، وزوى الرجل الميراث عن ورثته :عدل به] فلا شك أن الانزواء قد يكون بهذه المعاني التي أشارت إليها المعاجم من صد، ومنع، وحيازة

معنى ذهاب الدهر بالقوم: ويقولون فيه (زوى الدهر القوم : ذهب بهم)[12] م.

معنى الزي واللباس والهيئة: وهذا المعنى متداول عند الناس، فنجدهم (الزي والهيئة) قاصدين بهما اللباس الذي يرتديه الرجل أو المرأة، والحالة عليها الإنسان،أيضا.

9 – بمعنى موضع بالبصرة: وهو ما ذكره ابن منظور في لسانه، والرازي في مختاره، قال ابن منظور (والزاوية موضع بالبصرة)[13] وقال الزمخشري في الأساس: (وتزوى في الزاوية وتقول لا تزال في الزاوية، كأنك من أهل الزاوية، وهو موضع بالبصرة)[14]

10 – بمعنى ركن البيت: وقد نصت على هذا جل المعاجم العربية، وحتى كتب الرياضيات والحساب، فقد أشار إلى هذا المعنى ابن منظور بقوله (وزاوية البيت: ركنه والجمع الزوايا)[15] ونحن إذا جئنا نتأمل هذه المعاني اللغوية التي نصت عليها المعاجم، وحاولنا أن نتلمس منها المعنى الذي يتلاءم، ويتواءم مع الزاوية، بمفهومها المؤسسي الديني، فإننا نجد هناك تقاربا دلاليا كبيرا، إذ نعتقد أن الزاوية التي هي مؤسسة دينية، تعليمية، تعبدية في أصلها اللغوي، تعود إلى كل المعاني السابقة، إذ هي من الانزواء، بمعنى الجمع والقبض، فهي تجمع طلابها ومريديها على التعبد والتنسك، وتقبضهم من ثم –فيما نعتقد– عن فعل الشر، إنها الرباط الذي يربطهم عن الشر،وعلى الخير،فالفعل ربط نراه يتعدى بحرفي الجر (عن وعلى) حسب المعنى المقصود، أما إذا نظرنا إليها بمعنى الحيازة، فالزاوية تجعل طلابها، ومريديها يحوزون على الخير العظيم، ولعل أهم خير يحوزونه هو حفظ كتاب الله، ثم يحوزون على طاعة الله، وإذا نظرنا إليها من معنى التهيئة، فإن الزاوية مؤسسة تهيئ مريديها وطلابها لفعل الخير، كما تهيئهم للابتعاد عن الشر، بتربيتهم تربية روحية إيمانية سامية، وإذا توقفنا عند معنى التضام الذي نصت عليه المعاجم كما بينا، فإن الزاوية من مهامها الأساسية تجعل المريدين متضامين، متضامنين منزوين إلى بعضهم، وهو معنى من المعاني الإسلامية السامية، أما إذا نظرنا إليها من معنى المنع والصرف، فإن الزاوية هي في أساسها مؤسسة للرباط فتمنع من ثم عن مريديها، ومجتمعها كل شر، وتصرفه عنهم، إذ هي مكان للتعبد والطاعة،وقت السلم ومكان لمرابطة العدو في الثغور وقت الحرب،ومعلوم أن الزوايا في أصل نشأتها ارتبطت بالرباط، وهو من المرابطة

مجاهدة الكفار، أما إذا توقفنا عند معنى ركن البيت الذي نصت عليه
كذا كتب الرياضيات والحساب، فإننا نعتقد أن الزاوية-كمؤسسة- لا
ذا المعنى، إذ هي ركن من الأرض-أي زاوية من زواياها- الأرض التي
من بيت للإنسانية كلها، ينقطعون فيه أهل الزاوية للتعبد، والتنسك،
الله، وتلقي مختلف العلوم، والمعارف التي تنشرها الزاوية لطلاب العلم
ن ثم فهي ركن لهذا البيت الكبير الذي يسع البشرية، وأعني به كوكب
، وإذا نظرنا إليها من منظور العدول عن الشيء، فإن الزاوية من هذا
بطلابها ومريديها وأتباعها عن الشر، أي تنحرف، وتميل بهم إلى الخير
ظ كتاب الله تعالى، وسنة رسوله- ﷺ - إذا فالزاوية وبأي مدلول لغوي
جم، فإننا لا نجدها تبتعد عن فعل الخير، إنها انزواء للعبادة، والتنسك،
انقطاع لفعله، وابتعاد عن الشر، هذه هي الزاوية بالمنظور اللغوي في
ت هي كذلك لغة فما هو مدلولها الاصطلاحي؟

اصطلاحا:

ية في الاصطلاح بأنها (عبارة عن مؤسسات دينية ومراكز ثقافية
، وخلايا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم، وتعاليم شريعتهم،
لف العلوم، والمعارف، ويقيمون العلاقات الاجتماعية، والعسكرية
يذكر المؤرخون أن عدد الزوايا في الجزائر قد بلغ (349) زاوية في فترة
ا، وهكذا كانت الزوايا الصالحة في الجزائر مصدرا للعلم والهداية،
لصلاح، ومنبع اليقظة والنهضة[17]وهو أمر لاشك أنه ساهم في
ا، وهذا الدور كانت تقوم به الزاوية الجزائرية في زمن الاحتلال،
زاويتا سيدي بومعروف وبوحمامة اللتين نعنى بهما نحن هنا، غير أننا
دورهما في فترة ما بعد الاستقلال لأسباب تتعلق أساسا بالمادة

العلمية التي يرتكز عليها البحث العلمي،حيث وجدنا أنفسنا حين قررنا المساهمة في هذا الملتقى أمام انعدام شبه كلي للمادة العلمية، لأن تاريخ المنطقة لم يكتب فيه بعد فهو مازال موروثا شفاهيا،ونأمل من مثل هذه الملتقيات أن تؤسس لتاريخ المنطقة، بان تضع امام الباحثين مادة علمية ينهض عليها البحث في تاريخ المنطقة مستقبلا. وعموما فإنه يمكننا أن نقول إن الزاوية تستحضر مفهومها من مادتها اللغوية، فهي- في نظرنا- تعني الانزواء للتنسك، والتعبد، والتعلم، وحفظ القرآن الكريم، فهي بقعة من الأرض تحوي مجمعا عادة يضم مسجدا وحجرات، ومأوى للطلبة ومطعما، وإذا كان في علم الهندسة توجد الزاوية المستقيمة والزاوية المنحرفة، فإن الزاوية (المؤسسة) التي نعنى بها هنا فيها الزاوية المستقيمة والزاوية المنحرفة أيضا،أماالزاوية المنحرفة فهي تلك الزوايا التي ينزوي إليها الممارسون، للشعوذة والخرافة،والتدجيل، وهذا النوع من الزوايا شجعها الاستعمار الفرنسي في وقته، ودعم انحرافها مادام هي تلهي المواطنين، وتدجن أفكارهم وعقولهم، وتجعل منهم خرافيين دراويش طقوسيين، وأما النوع المستقيم من الزوايا، وهو الذي يحفظ القرآن، والمتون، الفقهية ويشرحها ويفسر كتاب الله، وسنة رسوله، و يعلم مبادئ العربية،التي بها يفهم القرآن، وتفهم السنة النبوية المطهرة، ويحافظ من ثم على الهوية العربية الإسلامية، زيادة على التربية الروحية الإيمانية، والاجتماعية التكافلية، فإن هذا النوع من الزوايا حورب من قبل الاستعمار وضيق عليه، وعلى نشاطاته ومشايخه، وزاويتا سيدي بومعروف وبوحمامة اللتين نعنى بهما هنا من هذا النوع المستقيم، فهما رسمتا لتحفيظ كتاب الله تعالى، وتقديم دروس في الفقه على المذهب المالكي،دروس مكنت الشيوخ المتخرجين من تلبية حاجة المواطن في ميادين الأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق، وشؤون الميراث

المذكورتين:

دراسات التي أرخت لظاهرة الزوايا في العالم العربي الإسلامي، ومنه
شتهرت بكثرة زواياها - كما ذكرت - أن للزوايا أدوارا عديدة، لكونها
جتماعية، مدنية، تربويةن تعليمية،ومن ثم كان طبيعيا من هذه المؤسسة
الأدوار التي أنشئت من أجلها، إذ من الثابت واقعيا وتاريخيا أن الزوايا
ع، أو مدارس فرعية منبثقة عن طرق صوفية، هذه الطرق التي انتشرت
لامي، والتي عملت على نشر تعاليمها، وأسسها التي أسست من أجلها،
على إنشاء زوايا في مختلف النواحي من تراب العالم الإسلامي، فهذه
عن مدارس تتبنى فكر الطريقة ومبادئها،وتعلمه للمريدين، والأتباع
د، من ثم ربما نجده في بعض الأوراد التي توجد عند هذه الطريقة، ولا
، والمهمة الأساسية لهذه الطرق هي التربية الروحية للمريدين والأتباع،
كتاب الله، وتدريس الفقه، وعلوم العربية، وبعض علوم العصر، وقلة
ن كانت لها زوايا لا تحفظ القرآن، وإنما تهتم بترتيل الأذكار والأوراد التي
تلك الزاوية، ومعظم الطرق كانت تؤسس زوايا لتحفيظ القرآن
م الفقه ومبادئ العربية، فهي وزايا تعليمية، وزاويتا سيدي بومعروف
قة تابلاط، نشأتا لهذا الغرض، وهو تحفيظ القرآن مع مبادئ العربية،
، ولم تكن هاتان الزاويتان في الزمن الذي كنت فيه طالبا تزيد عن هذا
في فترة الاستعمار كما أعلمنا، ومن ثم فدور الزاويتين نراه ينحصر في

أولا : الدور التعليمي للزاويتين:

لعل هذا الدور التعليمي هو أهم الأدوار التي كانت الزاويتان تقومان به، و
أعلمه عن هذا الدور الذي كان بعد الاستقلال، أو في السنوات الأولى من عم
الاستقلال، إذ كان الجزائريون بعد الاستقلال متعطشين للعلم والمعرفة، فكا
الأولياء وتحت نشوة فرحة الاستقلال يتلهفون لإرسال أبنائهم لأماكن تلقي العل
والمعرفة، ومع النقص الملحوظ في الهياكل المدرسية والمدرسين، ورغبة الأولياء في أ
يتعلم أبناؤهم لغة القرآن، وحفظ القرآن الذي به، وبمبادئه انتصروا، حيث لم يك
حب الدنيا قد سيطر عليهم، فلم يكونوا يرضون عن القرآن بديلا، كما هو حاصل
زماننا هذا الذي صار الناس يبعثون بأبنائهم لتلقي العلوم العصرية لأغراض دنيو
من طب، وصيدلة،ومحاماة، قلت في ضل هذه الظروف فتحت الزاويتان أبوا
لأعداد الطلبة من منطقة تابلاط الشاسعة، فاستقبلت الزاويتان أعدادا هائلة م
مختلف المداشر في المنطقة، منهم من تمكن من حفظ القرآن الكريم كله، وصار شي
مدرسا في بعض المداشر،ومنهم من صار إماما، ومنهم من حفظ جزءا من القر
الكريم، ثم التحق بالحياة العملية، إذا فالزاويتان المباركتان قد أدتا دورا تعليميا
مباركا، منهما تخرج عدد من حفاظ القرآن الذين صاروا أئمة وشيوخا في المنطقة
جل أئمة جوامع المنطقة تخرجوا من الزاويتين، كالإمام الشيخ أحمد بوعمامة الذي
الإمامة في المسجد العتيق إلى أن تقاعد، والشيخ محمد بوعمامة أيضا الذي تقاعد
الآخر إماما، والشيخ الطاهر، والشيخ عمرو مؤذن مسجد الإصلاح،هذا ما يخ
بزاوية بوعمامة أما من زاوية سيدي بومعروف فأذكر الشيخ (سي محمد تواتي) رحم
الذي كان شيخ الزاوية في ستينات وسبعينات القرن العشرين،والذي كنت طال
زمانه حيث حفظت نصف كتاب الله على يده، وغيرهم من الشيوخ، كما أذكر الش
(سليمان الطاعني) هكذا يلقب نسبة الى اولاد طاعن، الذي تخرج منها، وصار ش

لداشر وغيرهم من الشيوخ، ومن ثم لا أكون مبالغا إن قلت إن للزاويتين
ن الفضل الكبير في تأطير المنطقة دينيا، إذ وظائف الإمامة والمشيخة القرآنية
ابلاط كانت مؤطرة من تلاميذ الزاويتين، ثم لم يكن مكان لتحفيظ القرآن
ر هاتين الزاويتين، فبفضلهما تخرج هؤلاء الأئمة والشيوخ الذين توزعوا على
المنطقة، وتولوا تحفيظ القرآن في الكتاتيب.

الدور الروحي للزاويتين:

أتحدث هنا عن الزاويتين روحيا قبل الاستقلال، فدور الزوايا الجزائرية في تلك
ن واضحا، إذ لعبت الزاوية الجزائرية بمختلف انتماءاتها الطرقية أدوارا روحية
ذ كانت البنزين الذي غذى الجزائريين بالإيمان، الذي مكنهم من الصمود أمام
سخ، والتشويه، والطمس الذي تعرضت له الشخصية الوطنية، وإذا كان
د أفلح كما ذكرت سابقا في تحريف بعض الزوايا عن النهج الذي كان يجب أن
دخلت في عالم التخريف والتدجيل، فإن الكثير من زوايانا استعصت على
وبقيت وفية للمنهج الديني القويم، فبقيت تحفظ كتاب الله، وتفسره وتشرحه
وتعلم الفقه المالكي وبعض مبادئ اللغة العربية، وترسل من لمست فيه (من
نباهة والاستعداد لطلب العلم إلى جامع الزيتونة بتونس، أو جامع الأزهر
مصر، فكانت هذه الزوايا محطات طاقوية إيمانية أصلت الجزائر، وأكسبتها
صنتها من الذوبان والاندثار، فحافظت بفضل هذه المناعة على هويتها كأمة،
الدولة قد سقطت فإن الأمة لا يجب أن تسقط، ولو سقطت، فإنها سرعان ما
د تعاظم دور الزاويتين اللتين نعنى بهما بعد الاستقلال في المجال الروحي، إذ
لال واصلت الزاويتان غرس الروح الإيمانية، والعقائدية، بتركيزهما على تحفيظ
وتخريج مشايخ كان لهم الفضل في تقوية هذه الروح في نفوس المواطنين،

بمواعظهم، ونصائحهم، وأنا شخصيا أعرف عددا ممن تخرج من هاتين الزاويتين وصار إماما، أو شيخا، (وقد ذكرت نماذج سابقا) يتولى إمامة الناس، والوعظ والإرشاد والتوجيه الديني والروحي الذي كثيرا ما كان له الأثر الطيب على النفوس، فتهدأ إن كانت ثائرة، وتستقر إن كانت مضطربة وبذا تكون الزاويتان المذكورتان قد قوت الروح الإيمانية عند المواطنين، بفضل الوعظ الديني والإرشاد الروحي، والتوجيه الخلقي، وهي الروح الضرورية لجعل المواطنين يتغلبون على صعوبة الحياة القاسية التي ورثوها عن المستعمر الغاشم، من فقر، ومرض، وتخلف، وجهل، فانشأ هذا الوعظ روحا مملوءة بالقناعة والزهد، والتسامح، والتقارب، والتعاون، والتكافل بين المواطنين.وهي الروح التي نحسب أن المجتمع البشري لا يمكنه أن يستغني عنها في أي عصر من العصور

ثالثا : الدور الاجتماعي للزاويتين

كنا قد بينا سابقا أن الزاوية مؤسسة اجتماعية، فقد اعتبرت عند علماء السياسة والاجتماع منظمة من منظمات المجتمع المدني،[18] إلى جانب الطرق الصوفية التي تعتبر الزاوية كما بينا مدرسة من مدارسها، أي الزاوية مؤسسة مدنية اجتماعية، ومعنى ذلك أنها تؤدي وظيفة اجتماعية، أو مطلوب منها ذلك، ونحن نعتقد أن الزاويتين التي نعنى بهما قد قامتا بهذا الدور، فالزاويتان لم تشذا عن هذه القاعدة، فقد أدتا أدوارا اجتماعية عديدة في الوسط المجتمعي بمنطقة تابلاط، ويمكننا حصر هذه الوظائف الاجتماعية في جملة من الأنشطة الاجتماعية البارزة، منها :معالجة الزاويتين حل المشكلات الاجتماعية التي تحدث في الوسط المجتمعي، كالنزاعات الأسرية، والعائلية على الميراث مثلا،وكذا الخلافات الزوجية، فقد كان لشيوخ الزاويتين، وللشيوخ الذين تخرجوا من الزاويتين، حضور فاعل ودور كبير في إجراء الصلح بين الأزواج المتخاصمين امتثالا لقوله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما

ا إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)[19] فقد كنت وأنا غلام صغير أشاهد
أزواج يحضرون جلسات الصلح بحضرة المشايخ، وكثيرا ما يتم إبرام عقود
الأزواج المتخاصمين عن طريق أوليائهم، وحتى وإن كان الصلح غير ممكن
اصمين، وكان لابد من الطلاق، فإن دور الشيوخ مفيد جدا في أن يذهبا
ان إلى المحكمة وهما متفقان على الطلاق، فيكون الطلاق بالتراضي دون
لمحكمة، وهذا صلح أيضا يسهل من مهمة المحكمة، كما عالجت الزاويتان
النزاعات التي كانت تحدث بين الناس فيما يتعلق بالنزاع على الممتلكات، من
وأشجار، وقد تفلح في إيجاد الحلول لمثل هذه النزاعات ولن تصل إلى المحاكم
ومن بين الأدوار الاجتماعية تدخل شيوخ الزاويتين وكذا طلبتها الذين صاروا
في تقسيم الميراث على الورثة عند الوفاة فكثيرا ما يتولى الشيوخ تقسيم
طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، فيخرج الورثة وهم راضون، ولن يصل
ورثة إلى المحاكم، كما أفلحت الزاويتان في إحداث الطلاق بين الأزواج إذا
زواج عن قبول الصلح، فيتم الطلاق بالتراضي، ولا يذهبان إلى المحكمة إلا
وتوثيقه، ومن الأدوار الاجتماعية التي قامت بها الزاويتان فك الخصومات،
لصلح بين المتخاصمين خاصة في الأعياد الدينية، أين تكون الفرصة سانحة
شيوخ لفرض هذا الصلح، ومن ثم فقد تكون الزاويتان قد ساهمتا في إيجاد
لكثير من المشكلات الاجتماعية، وجنبت من ثم المواطنين عناء الوصول إلى
اكم، وتكون قد ساعدتا المحاكم الحكومية اجتماعيا،ووظيفيا، وهو دور يثبت
اويتين في الحضور المجتمعي الفاعل، ويؤكد ضرورة وجود الزاوية في
باعتبارها مؤسسة اجتماعية كما بينا، ولعل أبرز ما نجحت فيه الزاوية
إلى جانب الصلح وإصلاح ذات البين، هو غرس فقه المعاملات بين
، وهو الفقه الذي يعول عليه في بناء المجتمعات، إذ هو فقه إن فهم

واستوعب، وطبق يجعل المسلم متسامحا، يفضل أن يتنازل عن حقه، ولا يدخل في الخصام، إنه فقه التسامح الذي يؤسس للاستقرار الاجتماعي، والزاوية في نظرنا عموما من أهم ما تدعو إليه هو التسامح، لأنها منبثقة من التصوف الذي يتأسس على التسامح، والانقطاع للتعبد، والتنسك لله عز وجل.

رابعا: الدور الثقافي للزاويتين:

لا نزعم أن الزاويتين بما تعتمده من طرائق تعليمية تقليدية، كتحفيظ القرآن الكريم ومتون الفقه المالكي وشروحها تثقف المواطنين ثقافة عصرية، تجعل من المواطنين يعيشون ثقافة عصرهم، فهذا الزعم لا يقول به أحد خبير بعصره الذي يتميز بصراع فكري رهيب، غير أن ما يمكن قوله ومن خلال المجهودات التي تبذلها الزاوية- أية زاوية- مجهودات تعليمية تحفيظية (القرآن، والسنة، والفقه) وبعض مبادئ اللغة العربية أمر لا يستهان به، فهو إن لم يجعل من المتخرجين من الزاويتين مثقفين، فإنه يجعل منهم أناسا معتدلين سلوكيا، ومجتمعيا أي غير منحرفين في أقوالهم، وأفعالهم، وأخلاقهم، والثقافة في بعض تعريفاتها اللغوية هي الاعتدال والاستقامة في السلوك،إذا فطلاب الزاويتين وحتى وإن لم يصنفوا ضمن المثقفين بمنظور سعة الاطلاع فإنهم يعتبرون مثقفين بمنظور الاعتدال،ثم أن المنحرفين-في نظرنا- ليسوا على ثقافة واسعة،إذ لو كانت لهم الموسوعية الثقافية لمنعتهم موسوعيتهم من الانحراف، وكانت لهم صمام أمان، يؤمن سلوكهم وهو الأمر الذي وفرته الزاويتان لطلابهما على غرار الزوايا في الوطن، أما غزارة المعلومات وسعة الاطلاع، وهو أحد التعريفات لمصطلح الثقافة، فهذا أمر لا يمكن لطلاب الزاويتين أن يمتلكوه بما يقدم إليهم من قضايا تعليمية بسيطة، لكن قلت لا يستهان بما يقدمانه، فيكفيهما فضلا أنهما يحفظان كتاب الله، ويحفظان المتون الفقهية وشروحها كمتن ابن عاشر هذا المتن الذي كنا نردده على ألسنتنا ونحن صغار، فكنا نحفظه ونستوعبه

حه من الشيخ، ونعتقد أنه لب الفقه المالكي، يقول صاحبه الشيخ عبد الواحد ابن
ر في مستهله [20]

يقول عبد الواحد ابن عاشر *** مبتدئا باسم الإله القادر
الحمد لله الذي علمنا *** من العلوم ما به كلفنا
صلى وسلم على محمد *** وآله وصحبه والمقتدي

ومثله أيضا مصنف (أسهل المسالك) (ترغيب المريد السالك) لناظمه (محمد
ار) الذي بدأه بقوله[21]

الحمد لله الذي قد فرضا *** على الورى توحيده وحرضا
على امتثال أمره عباده *** وخص بالتوفيق من أراده
ثم الصلاة والسلام تترى *** على نبي جاءنا بالبشرى
محمد خير نبي أرسلا *** للعالمين رحمة تفضلا
والآل والصحب وأتباع الهدى *** بعد معلومات ربي أبدا
وبعد إن العلم فرض لزما *** كل امرئ مكلف أن يعلما
ما أوجب الله من الأحكام *** عليه في شرائع الإسلام

ل أن يقول[22]

يدعى بترغيب المريد السالك *** في مذهب الحبر الإمام مالك
فرمته نظما رجا أن يحصلا *** للمبتدي نفعا وحفظا يسهلا

الذاكرة الطلابية التي تشب على حفظ مثل هذه المتون سيكون لها مستقبل
زاهر إن هي أتيحت لها الفرصة، وتلقت تعليما عصريا يمنهج تعليمها
دي، ولعل هذا التعليم العصري هو الذي كان ينقص طلاب الزاويتين، وبقية

الزوايا في الجزائر، إذ نجد الطالب يحفظ كتاب الله، والمتون،والمصنفات، فيعدد فرائض الوضوء، وسننه،ومستحباته، ولكن لا يحسن تقديمها للمتعلمين بأسلوب لغوي علمي راق، فهو إن تصدر للدرس لا نجده ينجح في ذلك، ولذلك لا حظنا اليوم توجه الزوايا إلى تدعيم العلوم الدينية بالعلوم العصرية، من أدب، ونقد أدبي، وفلسفة، ومناهج، وسيرة نبوية، ولغات أجنبية، وغيرها من العلوم التي ترفد طلاب العلوم الشرعية، والتي من الضروري أن يتسلحوا بها، وإلا لم يكونوا مفيدين في حياتهم الوعظية، والإرشادية، والتوجيهية، والدعوية، ونعتقد أن من تمكن من طلاب الزوايا من تلقي علوم عصرية كان متفوقا على أقرانه، بحكم أنه يملك قاعدة تراثية محفوظة صلبة، وما كان ينقصه قد أكمله.

الخلاصة:

وخلاصة ما أردت قوله في هذه الورقة، هي أن الزاويتين المذكورتين، ورغم تواضعهما فإنهما كانتا تمثلان قطبين دينيين في المنطقة التابلاطية، بما خرجته من طلاب صاروا شيوخا موزعين في مختلف القرى والمداشر، وحتى مدينة تابلاط نفسها يتولون التأطير الديني (في جوانبه الروحية،الإيمانية،الأخلاقية، والاجتماعية) لسكان المنطقة في مرحلة كان المجتمع الجزائري يفتقد إلى مثل هذا التأطير، وإن كنا نعلم أن المجتمع- أي مجتمع- لم يكن ليستغني عن هذا التأطير في أية مرحلة من مراحل تاريخه، لأن الدين حاجة ضرورية ملحة للمجتمع-أي مجتمع- فمجتمع بلا دين، مجتمع لا ينعم بنعمة الاستقرار،وأهل المنطقة كانوا شاعرين بهذه الحاجة أيما شعور، والدليل على ذلك أن سكان المداشر والقرى التابلاطية في مطلع الستينات والسبعينات من القرن العشرين، أي بعد الاستقلال كانوا يتنافسون على جلب الشيوخ لمداشرهم، لتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم أولا، وتأطيرهم في أحوالهم المعيشية (الدينية والدنيوية) المتعلقة بقضايا الزواج، والطلاق والميراث وحتى

ثانيا، فالإمام، أو الشيخ يجب أن يكون حاضرا في أية وليمة، أو مأتم، فهو يعايش
أفراحهم وأقراحهم، وأذكر أن الدشرة التي كانت تخلو من جامع وشيخ، كانت
ن المداشر الأخرى، وتظطر إلى جلب شيوخ من المداشر المجاورة لها مؤقتا لتأطير
ا ومآتمها، ومما يدل على أن الشيخ في ذلك العصر كان محل حفاوة من أهل الدشرة،
ة أن سكان الدشرة يتقاسمون أجرته التي يدفعونها إليه-رغم الفقر المدقع لمعظم
- كما كانوا يتناوبون على تقديم الطعام له إن لم يكن يقيم بأسرته في الدشرة التي
شيختها، فهو كل يوم يحل ضيفا عند عائلة من العائلات، ولكن طعام العائلة هو
تقل إليه، وليس الشيخ هو الذي ينتقل إلى الطعام، وأذكر أن العائلات كانت ربما
سها من طعام لتقدمه للشيخ، وتلك ميزة أخرى لأهل المنطقة في تلك الفترة، تدل
على حبهم للعلم، وأهل العلم، فمما سبق نخلص إلى أن الزاويتين المذكورتين
قد ساهمتا مساهمة فعالة في فترة عصيبة من حياة شعبنا، فقيرة في وجود المعلمين
يساهمون في تنوير الناس بأمورهم الدينية، والدنيوية، مما جعل أفراد المجتمع في
يجنحون إلى الشيوخ، والى إصلاحاتهم بين الناس، فكان هذا الأمر في نظرنا باعثا
ستقرار الاجتماعي، والسكينة الروحية، والتسامح الخلقي، وتلك هي النقاط التي
على المحافظة على الهوية الجزائرية التي من سماتها التضامن الاجتماعي، والتكافل
ي، فلم يكن إذ ذاك في مجتمعنا متسولون رغم الفقر، ولم يكن ليدفع بكبار السن
زة إلى دور العجزة، كما هو حاصل اليوم، وتلك هي مؤسسة الزاوية في أصل
س - فيما نعتقد - وتلك هي مساهمة الزاويتين المذكورتين في تحصين الهوية الوطنية
ودينيا، وعقديا، وخلقيا، واجتماعيا.

قائمة المصادر والمراجع:

1 – القرآن الكريم على قراءة ورش

2 – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900م–1930م، طبعة بيروت، سنة 1969م ج 2

3 – ابن منظور، محمد أبو الفضل، جمال الدين الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان ط 1 سنة 2000م المجلد السابع

4 – ابن عاشر، المصنف (دون طبع ولا تاريخ ولا دار نشر)

5 – الجعلي المالكي، السيد عثمان بن حسين بري، سراج السالك، شرح أسهل المسالك وزارة الشؤون الدينية الجزائر،مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية (د ت)

6 – د. عبد الكريم بوصفصاف، التصوف، مفاهيمه،وأبعاده، محاضرة ضمن أشغال الملتقى الدولي الحادي عشر الموسوم، بالتصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة،جامعة العقيد، حمد دراية أدرار الجزائر،نوفمبر 2008م

7 – الرازي، الإمام فخر الدين الرازي، مختار الصحاح،ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، ط 4 سنة 1990م

8 – الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت لبنان (د ت)

9 – لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت لبنان، ط 28 سنة 1986م

10 – د عبد الغفار شكر، الحوار المتمدن عدد 985 الموقع على الشبكة العنكبوتية

11 – أشغال الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة جامعة أدرار نوفمبر 2008م

ر، لسان العرب دار صادر بيروت، ط 10 سنة 2000م مج 7 ص 84
محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ضبط وتخريج وتعليق د مصطفى ديب البغا، دار الهدى
عة والنش والتوزيع، عين مليلة الجزائر، ط 4 سنة 1990م ص 184
ي، جار الله محمود أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود دار المعرفة بيروت لبنان (د ت) ص 198
لوف، المنجد في اللغة والأعلام دار الشروق بيروت ط 28 سنة 1986م ص 312
ي، أساس البلاغة ص 198
لوف، المنجد في اللغة والأعلام،312
فسه ص نفسها
فس ص نفسها
ور اللسان مج 7ص 84
نفسه ص 84
شري، أساس البلاغة ص 198
معلوف منجد اللغة والأعلام ص 312
ظور اللسان ص 84
شري أساس البلاغة ص 198
ظور اللسان ص 84
القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية 1900 الى1930 طبعة بيروت سنة 1969م ج2 ص 64
ع السابق وينظر د عبد الكريم بوصفصاف، التصوف مفاهيمه وأبعاده محاضرة ضمن أشغال الملتقى الدولي
ادي عشر (التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة) جامعة العقيد احمد دراية إدرار نوفمبر 2008 م ص
ص 12
الغفار شكر الحوار المتمدن عدد 985
النساء آية 35
متن ابن عاشر
ي السيد عثمان بن حسين الجعلي، سراج السالك شرح أسهل المسالك، وزارة الشؤون الدينية الجزائر،
سة العصر للمنشورات الإسلامية (د ت) ص4 و5
ع السابق ص 7